﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النّحل: 93]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

هدايَةُ العِباد أو ضَلالُهم راجِعٌ إلى مَشيئَةِ اللهِ تعالى

بعدَ أن أوردَ النّظمُ الجليلُ الأمرَ والنّهي، والتّمثيلَ لبيان قُبحِ الإتيان به، وبيَّنَ أنّ الأسبابَ الدّافِعةَ للنّقض محضُ ابتلاءٍ مِنَ الله تعالى، وأنّه سَيَحكُمُ بينَهم يومَ القيامَةِ، وأحالَ "البيانَ إلى يومِ القيامة؛ زادَهُم إعلامًا بحكمةِ هذا التّأخير؛ فأعلمَهُم أنّه قادرٌ على أن يُبَيِّنَ لَهُم الحقَّ مِن هذهِ الدّارِ، فيَجعَلُهم أُمّةً واحدَةً، ولكنّ اللّهَ تعالى أضَلَّ مَن شاءَ، وهَدى مَن شاءَ"[1]، فإيرادُ الآيةِ بَعدَ الإحالَةِ على يومِ القيامَةِ كانّ ردًّا لمَن ظنَّ أنّ كثرةَ الإحالة على القيامةِ دليلٌ على نقصِ القدرةِ في هذه الدّارِ، فصرَّحَ بِنَفي ذلكَ بأنَّ اللّهَ تعالى لو شاءَ ذلكَ لَكان، ولكن لم يَشأ[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَجَعَلَكُمْ﴾: الجيمُ والعَينُ واللّامُ تدلُّ تصريفاتُها على تحويلِ الشَّيءِ إلى وضعٍ أو هيئةٍ مُعيَّنةٍ[3]، والجَعْلَةُ، بالفتح: الفَسيلةُ أو الوَديَّةُ، والجُعَل: دابَّةٌ سَوداءُ من دَوابّ الأرض، وجَعَلْتُ الشَّيءَ صنعتُه[4]، ولفظُ (جَعَلَ) عامٌّ في الأفعال كُلِّها، وهو أعمُّ من فعَلَ، وصَنَعَ، وسائر أخواتها، يأتي لمعانٍ منها: جَعَلَ الشَّيْء جَعلًا: وضَعَهُ وقدَّرَه، جَعَلَ بَعضَه فوقَ بعضٍ: ألقاهُ، وجَعَلَ القَبيحَ حَسَنًا: صَيَّرَهُ،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 267.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 244.
(3) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جعل).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والراغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جعل)، والفيروزابادي، بصائر ذوي التّمييز: 2/ 385.

وجَعَلَ البَصرَةَ بَغدادَ: ظَنَّها إيّاها، وجَعَلَ لَهُ كَذا على كَذا: شارَطَهُ بِه علَيه[1]، والمقصودُ بالجَعلِ في الآيَةِ: التَّقديرُ، والمرادُ: أنَّهُ تعالى قادِرٌ على أن يُبَيِّنَ لَهُمُ الحَقَّ مِن هذهِ الدّارِ، فيجعلهُم أُمَّةً واحِدَةً[2].

2) ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾: السّينُ والهمزةُ واللّامُ تدورُ اشتقاقاتُها على مَعنى الاستِدعاءِ والطَّلَبِ[3]، يُقالُ: سَألتُهُ عَن علمٍ سُؤالًا ومَسألَةً؛ أي: طَلَبتُ مَعرِفَتَهُ، فالسُّؤالُ حَقيقَتُهُ الطَّلَبُ، فإذا عُدّي بـ(عَن) فهو طَلَبُ معرفَةِ المَجرورِ بـ(عَن)، وإذا عُدّيَ بنَفسِهِ فهو طَلَبُ إعطاءِ الشَّيءِ، والمقصودُ بالسُّؤال في الآية سُؤالُ المُحاسَبَةِ والمُجازاةِ[4]؛ لأنَّه سؤالٌ حَكيمٌ تَتَرَتَّبُ عليهِ الإنارةُ، وليسَ سُؤالَ استِطلاعٍ[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

يُخبرُ اللّهُ تعالى أنَّه لو شاءَ لجعَلَكم جميعًا - أيُّها النّاسُ - على مِلَّةٍ واحدةٍ؛ وهيَ مِلَّةُ الإسلامِ، دونَ حُدوثِ اختلافٍ أو تفَرُّقٍ بينَكم، ولكِنَّ اللّهَ بحِكمَتِه خالَفَ بينَكم، فجعَلَكم أهلَ مِلَلٍ شَتَّى مُختَلِفة، يخذُلُ مَن يشاءُ عنِ اتِّباعِ الحَقِّ، فيَحرِمُ تَوفيقَه مَن يشاءُ؛ عدلًا منه سُبحانه، ويوفِّقُ مَن يشاءُ، فيهديه للحَقِّ فضلًا منه سُبحانَه، وليَسألَنَّكم اللّهُ جميعًا - أيُّها النّاسُ - يومَ القيامةِ عَمّا كُنتُم تَعمَلونَه في الدُّنيا مِن خَيرٍ وشَرٍّ، فيُجازيكُم على أعمالِكم: خَيرِها وشَرِّها[6].

الاختلافُ الواقعُ بين النّاس، هو ممّا قضَت به حكمةُ الله فيهم

(1) ابن سيده، المحكم: (جعل).
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 267.
(3) الخليل، العين، والأزهري، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سأل).
(4) أبو حيّان، البحر المحيط: 6/ 589.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 286.
(6) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 347، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/ 600، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 448.

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالَةُ الواوِ في مُفتَتَحِ الآيَةِ:

مُقتَضى الابتلاءِ أن لا يكونَ النّاسُ أُمّةً واحدةً

افتتحَ النّظمُ الجليلُ قولَهُ جلَّ شأنُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ بالواوِ الاستئنافيّة[1]، فلمّا ذَكَر أنّه يبلو عبادَه استأنفَ لِبَيانِ أنَّ ذلكَ الابتلاءَ يُفَرِّقُ النّاسَ، فيذهب كلُّ أحدٍ منهم إلى ما يُيسِّرُ اللّهُ تعالى له؛ إذْ إنّه لَم يشأْ أن يكونَ النّاسُ أُمّةً واحدةً[2]، فكأنّ السّامعَ لمّا سمعَ شأنَ الابتلاءِ عَلِمَ أنّ النّاسَ مُتَفَرِّقون لا محالةَ بسَبَبِ الابتلاء، فكأنّه اعترضَ بأنَّ الغايةَ مِنَ الابتلاء سَتَذهَبُ بغايَةٍ أُخرى؛ وهي توحيدُ الخَلقِ بِجَعلِهِم على دينٍ واحدٍ، فأخبرَ تعالى بأنَّ جَعلَ الخلقِ أمّةً واحدةً لا يكون بِحالٍ؛ لأنّ مشيئَتَهُ لَم تتعلَّقْ بِذَلِكَ.

علّةُ إيثارِ أُسلوبِ الشَّرطِ على الإخبارِ بالنَّفي:

ما شاءَ اللهُ كانَ، وما لَم يَشأْ لَم يَكُنْ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بأسلوبِ الشّرط في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ دونَ الإخبارِ بالنَّفي، فلم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (وما شاء اللّهُ أن يجعلَكُم أمّةً واحدةً)، بل عَدَلَ عن ذلكَ إلى الشَّرطِ؛ لأنّ التّبيينَ بالمُجازاةِ أبلَغُ مِنَ الإخبار[3]، وذلك لأنّه علَّقَ وجودَ الأمّةِ الواحدةِ على مَشيئَتِه، فلمّا انتَفَتْ مَشيئَتُه؛ انتَفى وجودُ الأمّةِ عَلى ذلك الوصفِ انتفاءً وجوديًّا قطعيًّا.

سِرُّ التّعبيرِ بالاسمِ الأحسنِ ﴿ٱللَّهُ﴾:

لا مَسلَكَ لِهدايَةِ الخَلْقِ مِن غَيرِ مَشيئَةِ اللهِ تعالى

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ بالاسمِ الأحسَنِ الدّالِّ على التّعظيم في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ أي: "المَلِكُ الأعلى الّذي لا أمرَ لِأحدٍ معَهُ"[4]؛ وذلك لتأكيدِ تحقُّقِ مضمونِ الخطابِ، فإنّ اللّهَ تعالى إذا لم يشأْ؛ فإنّ تلك المَشيئةَ المُنتَفيَةَ المُسنَدَةَ إلى اللّه

(1) صافي، الجدول: 7/ 380.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 3/ 418.
(3) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 11/ 372.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 244.

تعالى لا يُمكِنُ أن تكونَ بحالٍ مِنَ الأحوالِ؛ لأنَّ اللّهَ تعالى هو ذاتُه لم يشأْ ذلكَ، فلا سبيلَ لأن يَكونَ النّاسُ كذلكَ.

سرُّ إيثار لَفظِ (الجَعْل):

عظمَةُ قُدرَةِ الله تعالى في تَغييرِ النّاس مِن حالٍ إلى حالٍ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ الجَعلِ دون غيرِه في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ لأنّ الجَعلَ دالٌّ على تحويلِ الشّيءِ من حالٍ إلى حال، فلمّا كانوا مُختلفين على أصلِ خَلقِهم ووُجودِهم، وأُريدَ التّعبيرُ عن تحويلِهم إلى أُمّةٍ واحدَةٍ، ناسَبَ ذلك التّعبيرَ بالجَعلِ، ولفظُ الجَعلِ يُشيرُ إلى عظيمِ قُدرَةِ اللّهِ تعالى في هذا التَّحويلِ.

سِرُّ استعمالِ لَفظِ ﴿أُمَّةً﴾:

لفظُ الأُمَّـةِ دالٌّ عـلى الاجتِـماعِ والاتِّحاد

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بلفظ (الأمّة) في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ دون غيره، كلفظ (الجماعة) أو (الفئة)؛ لأنَّ الأُمَّةَ هي الأصلُ الجامعُ للنّاس، فالتّعبيرُ بها في سياق جعلِ النّاسِ مُتّحدّين أنسبُ مِن غيرِه؛ لدِلالَتِها على الجَمعِ، فهي تَجمَعُ الجماعاتِ والشّعوبَ ضِمنَ كيانٍ واحدٍ.

فائدةُ وصف الأُمّةِ بكونِها واحِدَةً:

الـوحـدةُ دليـلُ الاتِّفاقِ

وَصَفَ النّظمُ الجليلُ الأمّةَ بكونِها واحدةً في قوله جلّ شأنُه: ﴿لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾؛ للدّلالة على أنّها مُتَّفقَةٌ على الإسلامِ لا يَختَلِفُ أهلُها في الدّين[1]، فلا يقَعُ علَيهِم ذلك الابتلاءُ، ولكنْ شاءَ اللّهُ تعالى أن يَبتَليَهُم بالاختلافِ، فلم يشأْ أن يَجعَلَهُم مُتّفقين، بأن يكونوا أُمّةً واحدةً، لا خلافَ بينَهُم في أصولِ الدّين وفروعه، مُتَّفقين على أمرٍ واحدٍ، مُنتفية عنهم أسبابُ الخِلاف[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 5/ 137.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 244.

دِلالةُ الواوِ والحرفِ ﴿وَلَٰكِن﴾:

أثَـــرُ دِلالاتِ الحُروفِ في إثراءِ المَعاني

أدخلَ النّظمُ الجليلُ واوَ العطفِ على ﴿وَلَٰكِن﴾ الدّالّةِ على الاستدراكِ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾، والاستدراكُ يدُلُّ على خلافِ ما سبَقَ ذِكرُهُ، فلمّا قالَ: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أتبَعَهُ بقَولِه: ﴿وَلَٰكِن﴾؛ للدّلالة على أنّه لَم يَشَأْ ذلكَ، بَل شاءَ اختلافَهم[1].

سِرُّ استعمالِ لَفظِ الضَّلال بصيغَةِ المُضارع:

يُضلُّ اللهُ تعالى مَن يشاءُ بِعَدلِه

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفِعلِ المُضارع في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ﴾؛ للدّلالة على أنَّ الضَّلالَ مُستمرٌّ مُتجدِّدٌ بدَوامِ الدُّنيا وبقائِها، وعَبَّرَ بالإضلالِ، وأُريدَ منهُ أن يَخذُلَهُم عنِ الهِدايَةِ لخلوِّهم من أسبابها، فـ "بِحُكمِ الإلهيّةِ يُضلُّ مَن يشاءُ بخذلانِه إيّاهم عَدلًا منهُ فيهِم"[2].

سِرُّ استعمالِ لفظِ الهِداية بصيغَة المُضارع:

يَـهـدي اللـهُ سُبحانَهُ مَن يشاءُ بِفَضلِهِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ عنِ الهداية بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾؛ للدّلالة على أنّ شأنَ الهدايةِ دائمٌ مُستمرٌّ، وأنّه لا ينقطعُ في زمانٍ مهما عَلا الباطِلُ والضَّلالُ فيه، وعَبَّرَ بالهداية عنِ التّوفيق إليها، فهو بحكم الإلهيَّةِ يهدي مَن يشاءُ بتوفيقِهِ إيّاهُم تفضُّلًا منهُ عليهِم[3].

بلاغَةُ الطِّباقِ بينَ الهُدى والضَّلال:

مِن حُسن البيانِ الـجـمـعُ بين الضِّدَّينِ

جَمَعَ النّظمُ الجليلُ بين الضِّدَّينِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾، فجَمَعَ بينَ الضَّلالِ والهدى مطابقةً بينَهما؛ وفائدةُ ذلك: بيانُ حُسْنِ أحدِهما وسوءِ الآخر على وجهِ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 244.
(2) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 228.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 228.

البيانِ التّامّ، فالضّدُّ يُظهِرُ حسنَ الضّدِّ الآخر، فلمّا ذُكِرَ الضّلالُ وهو ممّا لا يسرُّ النّفوسَ؛ أتبعَه بما يَسُرُّها وهو الهداية، فيقعُ الموقِعَ الحسَنَ والأكملَ في بيانِ الفَضيلَةِ.

دلالةُ ﴿مَن﴾ في مَوضعيها، وسرُّ التّعبيرِ بها:

الضّلالُ والهُدى مُستمِرّان على مَرِّ الأزمانِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالاسم الموصول ﴿مَن﴾ في قوله جلّ شأنُه: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾، وهو اسمٌ دالٌّ على العموم؛ للدّلالة على أنّ هذينِ الفعلَينِ لا يختصّانِ بفئةٍ دون أُخرى، بل هما شاملانِ النّاسَ جميعًا، فتَتَعلَّقُ الهدايةُ بِمَنْ أظهرَ مِن نفسِه الاستعدادَ لقبولِ الهدى في كلِّ الأزمانِ والعصور، وأمّا مَن أبى وتولّى فقد استحقَّ الضّلالةَ في أيِّ عصرٍ كانَ.

دِلالَةُ حَذفِ مفعولِ المَشيئَةِ:

حَـــذْفُ مـا دَلَّ الـسّـيـاقُ عليهِ لـلاقـتـصـادِ في اللَّفظ

حَذَفَ النّظمُ الجليلُ مُتعلَّقَ فِعلِ المَشيئَةِ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾؛ لظُهور المُراد، فقد جاءَ فعلُ المَشيئَةِ صلَةً لِلمَوصولِ[1]، والجملَةُ الواقِعَةُ صلةً تقتضي أن تحتوي على رابطٍ، وهذا الرّابطُ قد يُحذَفُ لظهوره مِنَ السّياق للإيجازِ والاقتِصاد في التّعبير، والتّقدير: يهدي مَن يشاءُ هدايتَه، ويضلُّ مَن يشاءُ إضلالَه، فحذفُه لدلالةِ المذكورِ في الجملة عليهِ، وكفاية السّياقِ للبيان عنه، فهو إيجازٌ بليغٌ.

دِلالةُ الواوِ في قولِه: ﴿وَلَتُسۡـَٔلُنَّ﴾:

الهِدايَةُ والضَّلالُ اختيارٌ مِنَ العبدِ لواحدٍ مِنهُما

الجملَةُ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَلَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ معطوفَةٌ على الجُملَة في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[2]، فلمّا كان قولُه عَزَّ ذِكرُه: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ قد "يَغتَرُّ به قِصارُ الأنظارِ، فيَحسَبونَ أنّ الضّالّينَ والمُهتدينَ سواءٌ عند اللّه،

(1) مجموعة مؤلّفين، إعراب القرآن الكريم: 2/ 1225.
(2) مجموعة مؤلّفين، إعراب القرآن الكريم: 2/ 1225.

وأنّ الضّالّينَ مَعذورونَ في ضلالِهم؛ إذْ كان مِن أثرِ مَشيئةِ اللّهِ"[1]، فأعقَبَه بذكر السّؤالِ الّذي يدُلُّ على أنّ الضّلالَ والهدايةَ اختيارٌ مِنَ العَبدِ لطريقٍ واحدٍ منهما، وهو في ذلك لا يخرُجُ عن مشيئةِ اللّهِ سُبحانَهُ؛ و"لو كان العبيدُ مُضطَرّين للهداية والضّلالِ؛ لما أثبَتَ سُبحانَه لهم عملًا يُسألونَ عنهُ"[2].

دِلالةُ اللّام والنّونِ الدّاخِلَتَين على فِعلِ السُّؤالِ:

تأكيدُ اللّفظِ مُبالغةٌ في تحقيقِ الوَعدِ

أدخَلَ النّظمُ الجليلُ اللّامَ الموطّئةَ للقسَم ونونَ التّوكيد على الفعلِ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ وذلك للمبالغةِ في تأكيدِ السّؤالِ؛ إذْ أكّدَه بمؤكِّدَين[3]؛ مُبالغةً في تحقُّقِ هذا الوَعدِ.

سِرُّ بناءِ فِعلِ السُّؤالِ للمَفعولِ:

الاهتمامُ بشأنِ السُّؤالِ والحِسابِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفعل المَبنيِّ للمفعولِ في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ﴾؛ للاهتمامِ بالسُّؤال والمحاسبَةِ لِذاتِها، لا لكونِها مِن مُعيّنٍ، فهذا الحدثُ هو المُتَوَعَّدُ به، كما أنَّ في حذفِ الفاعِلِ المَعلومِ تعويلًا على علمِ السّامعِ به يُشيرُ إلى قوّةِ حُضورِه في الأذهانِ، كما أنَّ فيه طلبًا للإيجازِ بالاكتفاءِ على المعلومِ في الأذهانِ عَن ذِكرِه في الألفاظِ.

نُكتَةُ عدمِ قَيدِ السُّؤالِ بـ(يَوْمِ القِيامَةِ):

عظمةُ السُّؤالِ مُستقلّةٌ عَن عظَمةِ يومِ الحِسابِ

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ عن تحقُّقِ السّؤالِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، دون أن يبيّنَ أنّ ذلك كائنٌ يومَ القيامة؛ إذْ في الاستغناءِ عن قَيْدِ (يوم القيامة) تنبيهٌ على الاهتمامِ بالسُّؤال لذاتِه، فلو أُظهِرَ القيدُ بكَونِ السُّؤالِ في يوم القيامةِ فإنّ الاهتمامَ سيكونُ بذلك اليومِ والسّؤال فيه، ولكنّه أراد تفخيمَ شأن

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 14/ 267.
(2) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 459.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 3/ 228.

السّؤالِ، فحَذَفَ القيدَ لجعلِ الأذهانِ مُتعلِّقةً بالسّؤال فحسبُ، كما أنّ فيه إيجازًا في التّعبير، فلم يذكرْهُ اعتمادًا على دِلالة السّياق عليهِ؛ إذْ مِنَ المَعلومِ أنَّ السّؤالَ عنِ الأعمال كائنٌ يومَ القيامَةِ.

لَطيفَةُ تقييدِ الفِعلِ بالجارِّ والمجرورِ ﴿عَمَّا كُنتُمْ﴾:

تَنبيهُ العِبادِ إلى الاهتِمامِ بالعَمَلِ

قَيَّدَ النّظمُ الجليلُ السّؤالَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأنّه كائنٌ عنِ الأعمالِ، فهو مُقيّدٌ بما كانوا يَعمَلونَ في الحياةِ الدّنيا فحَسْبُ[1]، فلا يُسألون عن غيرِه؛ إرشادًا لهم على الاهتمام بِعَمَلِهم والكفِّ عمّا سِوى ذلك مِمّا لا يتعلَّقُ بِه عَمَلٌ.

دِلالةُ (ما) وأثَرُها في المعنى:

عُمومُ السُّؤالِ عَن كُلِّ عملٍ، وإنْ صَغُرَ

عَبَّرَ النّظمُ الجليلُ في قوله جلّ شأنُه: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالاسمِ المَوصولِ (ما)[2]؛ لدِلالَتِه على العُموم، فيشمَلُ كلًّا مِنَ الضّلال والهدى، فيتناولُ السّؤالُ كلَّ شيءٍ، "وَإنْ دقَّ، فيُجازي كُلًّا منكُم على عَمَلِه"[3].

فائدةُ ذِكرِ فِعلِ الكَونِ ﴿كُنتُمْ﴾:

الاعتِيادُ على عمَلٍ ما يَرسَخُ أثَرُهُ في صاحِبِهِ

عَبَّرَ النّظمُ الكريمُ بِفِعلِ الكَونِ في قولِهِ جلَّ شأنُه: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، ولم يقُلْ: (عمّا تعملون)؛ للدّلالة على أنّ السّؤالَ يَشمَلُ تلك الأعمال الّتي يَعمَلونها على سبيلِ الاعتياد عليها، وهي مظنَّةُ أن تُستَصغَرَ لِعَدَمِ الانتباهِ لها والاعتدادِ بِها.

دِلالةُ التّعبيرِ بالفِعلِ المُضارِعِ:

شُمولُ السُّؤالِ عَن جَميعِ أعمالِ العِبادِ

آثرَ النّظمُ الكريمُ التّعبيرَ بالفِعلِ المُضارِعِ في قوله جلّ شأنُه: ﴿تَعْمَلُونَ﴾؛ لِما فيهِ مِن الدّلالة على الاستِمرارِ والتَّجدُّدِ؛ أي: يسألُكُم عمّا كُنتُم "تَستَمِرّون على عَمَلِه في الدّنيا بِقُدرَتِكم المُؤثِّرةِ بإذن اللّهِ

(1) القنّوجيّ، فتح البيان: 7/ 308.
(2) صافي، الجدول: 7/ 380.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 245.

تعالى"[1]، فهو يَشمَلُ الأعمالَ الّتي عَمِلوها طولَ مُدّةِ حَياتِهم؛ إذِ الاستمرارُ يتعلَّقُ بفِعلِهِم، ولم تَنقَطِعْ حتّى تنقطعَ الحياةُ، فدلَّ ذلك على أنّ السّؤالَ شامِلٌ لكُلِّ الأعمالِ حتّى المَماتِ.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

المَشيئَةُ والإرادَةُ:

الإرادَةُ أعمُّ مِنَ المَشيئةِ

المشيئةُ والإرادةُ مُتقاربانِ، ولذا فسَّرَ كثيرٌ من علماء العربيّة أحدَهما بالآخرِ[2]، وربَّما أفادَ صنيعُهم أنَّهما بمعنًى واحدٍ من جهة اللُّغة[3].

وذكرَ أبو البقاءِ أنَّ بينَهما فرقًا من جهة اللُّغة؛ إذْ إنَّ المَشيئَةَ لُغَةً: الإيجادُ، والإرادةَ: طلبُ الشَّيءِ[4].

وفرَّقَ بينَهما أبو هِلالٍ؛ بأنَّ الإرادةَ يكونُ لِما تراخَى زمَنُه ولِما لا يتراخى، بخلاف المَشيئةِ فهيَ لِما لَم يتراخَ زمَنُهُ؛ فالإرادةُ أعمُّ مُطلقًا مِنَ المَشيئة[5].

أمّا المشيئةُ والإرادةُ باعتبار تعلُّقِهما باللهِ تعالى فالإرادةُ أعَمُّ مِنَ المَشيئة مُطلقًا؛ وذلك لأنَّ الإرادةَ تَشمَلُ الإرادةَ الكَونيَّةَ والإرادةَ الشَّرعيَّة، أمّا المشيئةُ فهي مُرادِفةٌ للإرادَةِ الكَونيَّة[6].

الجَعلُ والتَّصييرُ:

الصّيرورةُ تحويلٌ من حالٍ إلى حالٍ، والجعلُ خَلقٌ على ذلك الحال

الفعلُ (جعلَ) دالٌّ على تحويلِ الشَّيءِ إلى وضعٍ أو هيئةٍ مُعيَّنة[7]، ويَرِدُ الجَعلُ بمعنى: التَّقدير، و(صارَ) مِنَ الأفعال النّاقصةِ كـ (كان)، وهو عبارةٌ عن التّنقلِ من حالٍ إلى حالٍ، أو تحوُّل الموصوفِ

(1) الآلوسي، روح المعاني: 7/ 459.
(2) الجوهريّ، الصّحاح: (شيأ - رود)، وابن الأثير، النّهاية، وابن منظور، لسان العرب: (شيأ)، والفيروزابادي، القاموس المحيط: (رود).
(3) الجرجانيّ، التّعريفات، ص: 216.
(4) الكفويّ، الكلّيّات، ص: 75.
(5) العسكريّ، الفروق اللُّغويَّة، ص: 35.
(6) حافظ حَكَمي، أعلام السُّنَّة المنشورة لاعتقاد الطّائفة النّاجية المنصورة، ص: 88.
(7) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (جعل).

من صفةٍ إلى صفةٍ أخرى[1]، تقول: صارَ الطّينُ خزفًا، ومصدُرها الصَّيرورة، مثل الكَيْنونَة، والأصلُ: صرورَةٌ وكنونةٌ[2]، وقد عَبَّرَ بالجَعلِ؛ لأنّه مُناسِبٌ للمَشيئة الّتي هي من حيث تعلُّقُها بالأمر المُعيَّنِ تقتضي أنّه يشاءُ ذلك وقتَ الفعل، فهو خلقَهُم على تلك الحالِ، فالجَعلُ هنا لا يُرادُ به التّحويلُ، بل الخلقُ على تلك الصّفةِ؛ وهي أن يكونوا أمّةً واحدةً.

(1) الرّاغب، المفردات: (صير).
(2) السّمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (صير).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والعشرون،
سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 27 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-24-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 27 : المجلد السابع والعشرون، سورة النّحل من الآية 72 إلى سورة الإسراء الآية 05.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-24-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7597590 بتاريخ 2024/11/15م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»